الشمس

قصة بقلم عبد الغفار مكاوي

الشمس تلسع وجهي ، لهيبها يحرق عيني . صهدها يكتم نفسي. والطريق ما زال طويلا . علي ان اسير ساعة اخرى . ربما ساعتين . على الارض المحمية كالجمر . في التراب الذي يخنق الصدر . تحت الشمس التي لا ترحم . اضع حقيبة كتبي على راسي . بعد لحظات تصبح هي الاخرى كانها خارجة من فرن . ابحث عن شجرة اقف تحتها. ولكن المزارع بعيدة ، وعمال الطرق نسوا ان يزرعوا الاشجار. اشير للعربات ان تقف وتاخذني معها ، لكنها تمرق من جانبي وتغمرني بعاصفة من التراب . لو كنت سمعت نصيحة ابي واخذت معي الشمسية! لكن ماذا كان العيال يقولون ؟ ماذا كنت افعل لو ضاعت مني ؟ وماذا كان يفعل ابي ؟ هو اليوم راقد في البيت . امي قالت لي ابوك جسمه نار . سمعته يتاوه وانا خارج في الصباح . القيت عليه نظرة من وراء الباب فوجدته عصب عينيه . بالليل كان يصرخ : ابتعدوا عني. ابتعدوا عني . امي قالت ابوك عنده حمى . الشمس لطشت دماغه . ربنا يلطف بنا .

الشمس تحرق راسي . قرصها الملتهب اطبق علي . جسدي يرتعش . لو توقفت عن السير لحظة فساقع على الارض . والارض ايضا ستشوي لحمي . وامي لن تراني لتقول يا رب الطف بنا . انها لا تعرف شيئا . لم تكن هناك لترى ما رايت . لم تدر ماذا حدث .

امس وانا راجع من المدرسة مررت على ابي . في كل يوم كنت اراه في وسط الانفار . الشمسية فوق راسه والمنديل الابيض معصوب على دماغه . كان الانفار يحملون الطوب على ظهورهم ، او يخلطون المونة ، او يرشون الماء على البناية ، او ينزلون الزلط من العربات . كنت اجلس معه قليلا ثم اتابع سيري الى البيت . وامس عندما اقتربت من البناية كان هناك حشد كبير لم آره من قبل : صياح وزعيق ، اصوات تلعن واصوات تستعطف . افندية ومشايخ ، نساء واطفال ، باعة وشحاذون . اندسست من بين الصفوف لارى ابي في وسطهم . كان هناك رجل سمين ابيض الوجه يشخط فيه ويصرخ باعلى صوته . هل كان هو الباشمهندس ام صاحب البيت ؟ كان الرجل يصيح : انت لا تسمع الكلام . قلت لك الف مرة هذا الشغل لا ينفع . ابي يرد عليه : يا سعادة البيه انا انفذ الاوامر . الرجل يزعق : انا هنا صاحب الامر . الاوامر تاخذها مني . ابي يستعطف : امرك على العين والراس . الاوامر نفذناها . الرجل يصرخ : ولك عين ترد علي ؟! يا بهيم يا حمار .. ذراع الرجل تمتد . يده غليظة وبيضاء وسمينة . وخد ابي يحمر . يصبح كالجمرة المحترقة . ووجهه يسود. يصبح كالفحم .

الناس تقول : معلهش يا سعادة البيك . الانفار تقف مذهولة ، تريد ان تنقض على الرجل السمين . ابي يمسك بخناقه ، يريد ان يطرحه من على السقالة . الناس تفك يده عنه ، تقول له اصبر على اكل العيش . تقول للرجل السمين : هو خادمك على كل حال .

والشمس تلسع وجهي ، تشعل بركان الغضب في صدري . اريد ان اهجم على الرجل السمين . ان اصفعه على وجهه كما صفع ابي . ان اجعله عبرة امام الناس . ان اعلمه درسا لن ينساه . لكنني ابكي . تخونني دموعي . ابتعد عن المكان لكي لا تقع عيني على عين ابي . انهنه طول الطريق واغرق في دموعي .

عندما خرجت اليوم من البيت كان ابي ما يزال راقدا على السرير. امي اشترت لوح ثلج ووضعته على راسه . عندما سالتها قالت ابوك عنده حمى . جسمه كله نار . قلت لها ابقى معه اليوم . قالت رح انت المدرسة وخذ بالك من لطشة الشمس . عندما رقدت في العام الماضي كنت مصابا بالحمى . ابي احضر لي الطبيب والطبيب قال عنده حمى . وضعوا الثلج على راسي . سهرت امي الى جانبي . لكن الرجل السمين لم يكن قد ضربني . الرجل السمين لم يصفعني على وجهي . وخدي لم يحمر كالنار ووجهي لم يسود كالفحم . هي لا تعلم انهم ضربوا ابي . صفعوه على وجهه في وسط الانفار .

الشمس تحرق وجهي ، تعمي عيني . الطريق ما يزال طويلا . قدمي تعبت وساقي ترتعش . والشمس تضيء كل شيء . اين اختفي منها ؟ واين يخفي ابي وجهه ؟

الان لا استطيع ان اذهب الى البيت . لا استطيع ان انظر في وجه ابي . لا استطيع ان ارفع عيني في عينيه . لا استطيع ان اتحسس وجهه حتى لا تلسعني الصفعة على خده . اين اذهب ؟ الى البناية اسال عن الرجل الابيض السمين ؟ هل هو الان هناك ؟ هل ما يزال يشخط وينظر في الناس ؟ هل تمتد ذراعه السمينة وتصفع الرجال الذين يبنون ؟ هل اذهب الى المركز واشكوه ؟ هل اقدم فيه بلاغا للنيابة ؟ هل اذهب الى مقام سيدي المدبولي وادعو عليه ؟ من هو يا ترى ؟ ما اسمه ؟ ما عمله ؟ ما الذي يعطيه القوة على صفع الناس ؟ ساقي ترتعش . دماغي يلف ويدور . سحابة تراب تخنقني . آه لو كانت الارض ابتلعتني فلم اره يضرب ابي امامي .

ابي رئيس عمال البناء ـ هو الذي يجمع الانفار ويوزع عليهم العمل . في السنة الماضية كانوا يبنون سور السكة الحديد . كنت اذهب اليه واتفرج على الانفار واشرب معهم الشاي . لم يقل لي ابي ماذا يبنون في هذا العام . هل هو المركز الجديد ؟ هل هو المستشفى؟ ام يا ترى فيلا للعمدة ، او بيت لمهندس التنظيم ؟ بنى يبني بناء . قدماء المصريين ايضا بنوا الاهرام . مليونان وثلثمائة الف حجر . كل حجر يزن طنين ونصف طن . مائة الف نفر في كل عام . ومصر كلها حجر واحد . حجر ضخم . مثلث مثل الهرم . قمته ترتفع الى السماء. وعلى قمته يجلس فرعون . وفرعون والباشا والخفير سخروا الفلاحين. والرجل الابيض السمين كان دائما هناك . كان دائما يضرب الانفار على وجوههم . والشمس كانت دائما تلسع الوجوه وتشوي الاجسام . ونابليون نفسه وقف في الشمس امام الاهرام وقال : ان اربعين قرنا تنظر اليكم .

ابي كان ينهنه عندما خرجت من البيت . طـــول الليل يتاوه ويهذي . امي تدعو على الظالم وتطلب من الله ان ينتقم منه . الشمس كانت هي السبب . ولهيبها الان يحرق وجهي ، ينضح العرق مـن جبهتي فيسقط في عيني ، يصهر أعصابي ويشعل النار في جسدي . في حصة الجغرافيا قال لنا المدرس ان الشمس جرم سماوي هائـــل متوهج . تدور حولها تسعة اجرام كروية معتمة بذاتها مضيئة بانعكاس ضوء الشمس عليها تعرف بالكواكب . الارض تدور حول الشمس مرة كل عام . هل تعرف الشمس ان الارض تدور حولها ؟ هل تعرف ان ابي على الارض وان الرجل السمين صفعه على وجهه ؟ هل تعرف،وهي تدور حول نفسها كل يوم كما يقول مدرس الجغرافيا ، انني انا ايضا ادور عليها ؟ ابحث عن الرجل السمين الذي صفع ابي . افكر في ان اصفعه على وجهه امام الناس جميعا . ان اسحبه من ثيابه واجعلـه يعتذر لابي ، يقبل رأسه ، يستعطفه ليصفح عنه ؟ لكنني لا املك سيف ابي زيد الهلالي ولا مدافع نابليون . لا اقوى حتى على حمل ساقي . والشمس تحرق وجهي ، تبدد افكاري ، تشعل الحمى في عروقي . آه لو لم تكن الشمس هناك . آه لو طمرتها السحب ، لو غطتها سحابة واحدة . واحدة فحسب !

السكة ما تزال طويلة . الشمس تحيط بي من كل مكان . حتى ظلي احرقته . من الصباح وانا تائه في الشوارع . قلت لهم انني سأذهب الى المدرسة . لكنني لم اذهب الى المدرسة . مـررت على البناية ورأيت الانفار يعملون في الارض وعلى السقالات ويغنون . كان ابي لم يصفعه الرجل السمين امس . كانهم لم يغضبوا او يثوروا في وجهه . كان صدى الصفعة اختفى من اذانهم . وعندما رأيت كل شيء كما كان قررت الا اذهب الى المدرسة . ماذا افعل اذا كـانت الصفعة لا تزال تطن في اذني ؟ ماذا يفيدني ان كانت الشمس تـــدور حول نفسها من الغرب الى الشرق او من الشرق الى الغرب ؟ طالما ان أبي الذي لطمه الرجل الابيض السمين يدور معها ايضا كما تشاء؟ ماذا يفيدني ان كان ترفع المبتدا وتنصب الخبر ، وان بلادنا مهد الحضارة من الاف السنين ؟ آه يا رب . الرعشة تزداد . رأسي ينفتت . جبهتي شعلة نار . الدنيا تغيم امامي . العرق المبلل بالتراب يملأ عينـي . سأجري الان الى الترعة ، وأبلل وجهي . لا . سأخلع ثوبي وأسقط في الماء . أم أكتفي بغسل رأسي ؟ لكن رأسي سينفجر . وأبي رأسه معصوب بمنديل أبيض ، وأمي وضعت الثلج على رأسه . مـن الذي ينقذه من الحمى ؟ من الذي ينقذني من الشمس ؟ الشمس تجـري ورائي . تحمل سيخ نار في يدها . آه ! انها تصفعني على وجهي . تلقي بي على جانب الطريق . تصفعني كما صفع الرجل الابيـــض السمين ابي . هل سيعثرون علي ؟ من الذي سيضع الثلج على رأسي؟ من ينقذ أبي ؟ من ينقذني ؟ .

القاهرة — **عبد الغفار مكاوي**

فـي البحـرين

تطلب ((الاداب)) وكتب ((دار الاداب))

مـــن
الشركة العربية للوكالات والتوزيع
شارع المتنبـي

السفير

البابا

آخر رواية للكاتب الشهير

موريس ويست

رواية الحرب القذرة في فيتنام ، كمـــا يرويها سفير اميركي عين في سايغون وشاهد في اول يـــوم وصل فيه انتحار راهب بوذي .. وهو يقص هنا قصة تلك المنطقة التي تمزقها الخلافات السياسية والدينية والعسكرية وتدخل الولايات المتحدة الاميركية في هذا كله . ويعيش هذا السفير مأساة ضميرية اذ يكون عليه ان يختار بين رجل يحترمه (هو الرئيس كونغ) وبيـن طغمة من الجنرالات المتآمرين الذين تدعمهم المخابرات السرية الاميركية .. انه الصراع بيـن الاخلاق والانتهازية السياسية ، ولكنه كذلك مأساة شخصية يخرج منها السفير مجروحا في ضميره بحيث يهجـر مهنته الدبلوماسية ليلتمس الخلاص الروحي بالقـرب مـــن راهب ياباني ..

وقد نجح موريس ويست ، وهو مؤلف رواية « محامي الشيطان » الشهيرة ، في تصوير حرب الفيتنام والدور الذي تلعبه فئـــة مـــن الشخصيات المختلفة الغامضة ، وفي التعبير عن نزعة انسانية رائعة جعلت هذه الرواية في طليعة الروايات المعاصرة .

صدر هذا الشهر